من أعلام القضاء

فضيلة الشيخ عبدالله بن صالح المحسن

قاضي محكمة عقلة الصقور بالقصيم سابقاً

إعداد

حمد بن عبد الله بن خنين

جعل الله تعالى العلماء نجوم الأرض، إذا رحلوا بقي نور علمهم في تلاميذهم، وكتبهم، وفقههم، فيبثون ضياءه على الناس، ليكون لهم نوراً في الحياة الدنيا يستبصر الناس به الهدى، ويعرفون الخير من الشر، والحق من الباطل، والفاضل من العاطل. فالعلماء ورثة الأنبياء وحملة العلم من بعدهم، يهدون ويرشدون ويبينون ويوضحون كلٌ على حسب ما أعطاه الله تعالى، فذاك بقلمه وبنانه، والآخر بفصاحته وبيانه، والآخر بطلابه وأتباعه وإخوانه.

وقد رفع الله تعالى العلماء لما رفعوا ذكره وعظموا أمره قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ المجادلة: ١١. لقد فقد العالم الإسلامي شيخاً جليلاً له مكانته في العلم والقدر، درَّس أجيالاً متتالية ذهبوا في مشارق الأرض ومغاربها، إنه (الشيخ عبدالله بن صالح المحسن)، المعروف في زمانه بالعلم، ممن يشار لهم بالبنان من أهل الحديث والفقه، رشح للقضاء ولبراعته في التعليم كان أحد المؤسسين للجامعة الإسلامية والمدرسين فيها، له العديد من المآثر في مجال التعلم والتعليم والتأليف ترك رحمه الله إرثاً علمياً عظيماً، فقد كان من محبي التأليف، فقد أمضى أكثر حياته في الكتابة، تاركاً كتباً كثيرة، ومن أشهر الكتب التي انتشرت في العالم الإسلامي ونصح العلماء تلاميذهم بقراءتها في بادئ علمهم، كتاب شرح الأربعين النووية، الذي لقي قبولاً كبيراً بين الناس من واقع خطابات الثناء، وقد طبع أكثر من مرة ويعتبر من أميز الكتب التي درست في المعاهد، وكتاب (أحاديث مختارة) بشرح مُبسط مناسب للطلبة، وله كتاب (تفسير جزء عم)، وكتاب (شرح عمدة الفقه) في (ثلاث مجلدات)، وكتاب

(أحاديث في العبادات والمعاملات والأخلاق) ثلاث مجلدات، وكتاب (شرح عمدة الأحكام) في مجلدين، وكتاب (شرح كتاب التوحيد) (مجلد واحد)، وكتاب (تفسير جزء تبارك وشيء من جزء قد سمع)، وكتاب في (القصص) مجلدين، ومذكرات في (الحديث) مجلد، وكتب أخرى منها قصص وأخبار ومنها فقه وآثار، إنه علمٌ سامقٌ وعالم متمكن ونادر زمانه.

نشأته وتعليمه:

ولد الشيخ عبدالله بن صالح المحسن عام ١٣٣٣هـ، في مدينة الشيحية بمنطقة القصيم، ويرجع نسبه إلى قبيلة سبيع من العرينات، وأصل مرجع الشيخ يعود إلى قرية الضلفعة إحدى قرى القصيم نشأ نشأة مباركة بين كنف والدين كريمين حرصا على أن ينهل من العلم، كما اهتم الشيخ نفسه على أن يأخذ العلم من مناطق مختلفة ومتعددة، فقد طلب العلم في القصيم، والرياض، ومكة والمدينة على يد علماء كان لهم الأثر البالغ في تخريج كثير من أهل العلم والمشايخ، فعندما ولد الشيخ لم يكن هناك تعليم يذكر في الشيحية، لذا سافر به والده إلى البكيرية لوجود الكتاتيب، وكانت أول رحلة له في طلب العلم وقد كان صغير السن.

وفي سنة ١٣٤٩هـ التحق بالهجانة العسكر في المدينة ثم مكة سنتين في عمر الحادية عشرة، وكان ذلك في قلعة أجياد بمكة، كما كان يتردد فيها على حلق العلم في الحرم، ليعود مرة أخرى إلى البكيرية ليدرس على علمائها وأشهرهم عالمها الشيخ محمد بن مقبل، والشيخ عبدالعزيز السبيل وهو أخو إمام الحرم. كما درس في بريدة على عدد من العلماء الأجلاء من أشهرهم الشيخ العلاَّمة صالح

الخريصي، ثم قدم الشيخ إلى مدينة الرياض عام ١٣٦٤هـ لينهل العلم من المشايخ وعلى رأسهم الشيخ العلاَّمة محمد بن عبداللطيف رحمه الله جد سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ. وبذلك أمكنه من تدريس أبناء الشيحية أربع سنوات ثم انتقل للتدريس النظامي في ثرمدا في شقراء.

طريقة تعليمه:

حرص على أن يكون في طريقة تعلمه متبعاً للسنّة، ونابذاً للتعصب متبعاً للحق، ولذا فقد فاق كثيراً من أقرانه في طلب العلم، حيث نهل العلم من جميع المذاهب السنية، ويرجع لكلام المحققين من أهل العلم كابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى. وقد حبا الله تعالى الشيخ كثيراً من الفراسة والحكمة ومعرفة الناس ومعادن الرجال حتى عرض عليه العلاّمة الشيخ عبدالله ابن حميد القضاء مرتين وألح عليه في ذلك ولكن الشيخ رفض واعتذر.

عمله في القضاء والتدريس:

بعد تخرجه من كلية الشريعة عام ١٣٨٠هـ، عيّن قاضياً في عقلة الصقور وبعد فترة اعتذر حيث شفع له الشيخ ابن باز رحمه الله طالباً من الشيخ محمد بن إبراهيم أن يجعله معه في الجامعة الإسلامية مدرساً فوافق الشيخ ابن إبراهيم، فانتقل إلى المدينة المنورة للتدريس في الجامعة الإسلامية، وأصبح من المؤسسين للجامعة، وبها استقر في المدينة المنورة منذ تعيينه، وكان سماحة العلاّمة ابن باز رحمه الله نائباً لرئيس الجامعة بينما كان رئيس الجامعة سماحة الشيخ العلاّمة الإمام محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى لهذا كان العلاّمة ابن باز رحمه الله يثني على علم الشيخ عبدالله وعلى حسن إلقائه وأسلوبه العلمي، حتى إنه أمر بنشر رسالته في الأخلاق،

كما وقف مع من وقف مع الشيخ عبدالله عندما امتنع عن القضاء، لأنهم رأوا فيه براعة العلم والتعليم.

سفره للهند وعودته:

خلال عامي ١٣٩٣هـ و١٣٩٤هـ اُنتدب الشيخ إلى الهند للتدريس في الجامعة السلفية، فأقام هناك سنتين في مدينة بنارس الهندية، ثم عاد إلى المدينة فاستمر في التدريس في الجامعة الإسلامية إلى العام ١٤٠٢هـ، حتى تقاعد.

طلابه وملازميه:

خلال هذه الرحلة العلمية الطويلة صاحب الشيخ كثيراً من العلماء الأجلاء من أهل الحديث والفقه، منهم سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله والعلاّمة عبدالرزاق عفيفي رحمه الله نائب رئيس الإفتاء، والشيخ العلاّمة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله صاحب كتاب (أضواء البيان)، والشيخ المحدث حماد حمد الأنصاري، ومعالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو اللجنة الدائمة والإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء، والشيخ عبدالرحمن العجلان رئيس محاكم القصيم سابقاً والواعظ في المسجد الحرام، والشيخ محمد بن ناصر العبودي رئيس رابطة العالم الإسلامي المساعد وله معه زمالة وصداقة قديمة، والشيخ العلاّمة عبدالله الغنيمان المدرس في المسجد النبوي، والشيخ عمر محمد فلاتة رحمه الله أمين الجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف، والشيخ محمد تقي الدين الهلالي، والشيخ محمد المختار الشنقيطي والد الشيخ محمد المختار الواعظ بالمسجد النبوي رحمه الله والشيخ عطية محمد سالم المدرس بالمسجد النبوي.

أما تلاميذه فهم كثر منهم في داخل السعودية وخارجها، بل استمر طلبة العلم يأتون إليه حتى قبل موته بقليل، لكن لعل من أشهر من درس على الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي الذي قال عنه: (ما انتفعنا بأحد مثل ما انتفعنا بالشيخ عبدالله المحسن). وكذلك من تلاميذه البارزين الشيخ محمد بن حمود الوائلي عميد كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية سابقاً. والمدرس في المسجد النبوي حالياً. والشيخ عبدالعزيز بن عبدالفتاح قارئ عميد كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية ورئيس لجنة مراجعة مصحف المدينة النبوية، والشيخ علي سعيد الشيخي مدير المعهد الثانوي بالجامعة الإسلامي سابقاً وغيرهم كثير. كما كان الدكتور إحسان إلهي ظهير رحمه الله (في الهند)، ممن يحب الشيخ ويستشيره في أمور كثيرة ويرجع إليه ويستند إلى قوله، وكان آخر لقاء تم بينهما قبل شهرين من اغتيال ظهير.

تفرغه وزائروه:

طُلب منه بعد تقاعده أن يكون مدرساً في المسجد النبوي، إلا أنه أصيب بحادث، وهذا ما جعله لا يستطيع التحرك، فاعتذر الشيخ بعد ذلك عن التدريس وتفرغ للقراءة والكتابة والمطالعة، وأصبح يزوره بعض العلماء وطلبة العلم داخل المملكة وخارجها للمدارسة والمناقشة والقراءة، ومن أبرز من كان يأتيه بشكل مستمر عميد كلية الدعوة والإعلام الشيخ الدكتور عبدالعزيز الطويان وكان صديقاً وتلميذاً ويحبه الشيخ عبدالله كثيراً. وكذلك الشيخ محمد بن صالح البراك الأستاذ المشارك في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. بقي الشيخ على عهده في حب الخير وحب العلم وبقي سنوات حياته في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى توفي رحمه الله.

وفاته:

فقد العالم الإسلامي شيخاً جليلاً له مكانته في العلم والقدر، درَّس أجيالاً متتالية ذهبوا في مشارق الأرض ومغاربها، توفي في يوم الأربعاء ١٣ رجب ١٤٣٢هـ وُصلي عليه عشاء ذلك اليوم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن في المدينة. ولا ريب أن موت العلماء منقصة في الأرض قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ الرعد: ٤١. قال مجاهد وعكرمة: (إنقاص الأرض من أطرافها معناه خرابها، أو هو موت علمائها)، ففقدهم رزية كبيرة وبلاء عظيم، ولكن أعظم ما ينفس الكربة ويكشف الغمة أن علمهم أصبح مكتوباً، فهناك التلاميذ الذين ينقلون علمهم، وهناك ما كتبت أيديهم من العلم، وقد جعل الله تعالى لهم حقاً وإجلالاً، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس منَّا من لم يجلَّ كبيرَنا، ويرحم صغيرنا، ويعرفْ لعالمنا حقه)؛ رواه أحمد والترمذي. لذا كان حقاً علينا أن نحفظ حقوقهم ونصون جنابهم، ونبين أمرهم للناس ليعرف الناس فضلهم ومكانتهم وعلمهم.

مآثره وكتبه:

ترك الشيخ عبدالله المحسن رحمه الله إرثاً علمياً عظيماً، فقد كان من محبي التأليف، حيث أمضى أكثر حياته في الكتابة، تاركاً كتباً كثيرة، ومن أشهر الكتب التي انتشرت في العالم الإسلامي ونصح العلماء تلاميذهم بقراءتها في بادئ علمهم، كتاب الشيخ عبدالله في شرح الأربعين النووية، الذي لقي قبولاً كبيراً بين الناس من واقع خطابات الثناء، وقد طبع أكثر من مرة ويعتبر من أميز الكتب التي درست في المعاهد، وله أيضاً كتاب مطبوع في (أحاديث مختارة) بشرح مُبسط

مناسب للطلبة، وله كتاب في تفسير جزء عم، وأما ما لم يطبع فكثير، وهو في طريقه للطباعة –بإذن الله تعالى–، مثل كتاب شرح عمدة الفقه في (ثلاث مجلدات تقريباً)، وكتاب (أحاديث في العبادات والمعاملات والأخلاق) في ثلاث مجلدات، وشرح عمدة الأحكام في (مجلدين تقريباً)، وشرح كتاب التوحيد (مجلد واحد)، وتفسير جزء تبارك وشيء من جزء قد سمع، وكتب في القصص (مجلدين)، ومذكرات في الحديث (مجلد)، وكتب أخرى منها قصص وأخبار ومنها فقه وآثار. ويتم ترتيبها وتصنيفها، ومن ثم طباعتها.

مما قيل في رثائه:

يقول د. نصار بن عبدالرحمن بن ناصر الحمد إمام وخطيب جامع الإمام ابن ماجه:

لما أتى الخبر الجليل
حق الفراق وقد مضى
وأشاح عن حِمل ثقيل
أمر الإله على الأفول
وتبعثرت كلماته
قبَّلته فوق الجبين
وتكدرت بعد الأفول
ودعته شيخا جليل
(الشيخ مات) وقد ثوى
فخراً له بذل العلوم
في أرض هادينا الرسول
بمنزل الوحي الجليل
الشيخ مات وقد بكى
قد عاش في رسم
أحبابه بعد الذبول
الكتابة بالمقالة والنقول
غطت على عيني الدموع
حتى أراد الله أن
وأسملت بصراً كليل
يجفو الخليل عن الخليل
هو شيخنا هو من سما
يا رب فارحم شيخنا
بالعلم في شرف مهول
واجعل له الحسنى مقيل
نوراً علينا ما خبت
أنواره في ذي الحمول